مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الشرعية) المجلد الثاني عشر – العدد الثاني ص33 – ص65، يونيو2004م

الصد عن سبيل الله في ضوء القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

عبد السلام حمدان اللوح **زكريا إبراهيم الزميلي**

كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية

ص.ب: 108– غزة – فلسطين

ملخص: هذا البحث مثالٌ تطبيقي للون من ألوان التفسير الموضوعي ، وهو ما يُعرف بالموضوع القرآني ، لنرى كيف تجمّع هذا الموضوع من خلال آيات القرآن في سوره المتعددة ، مع الوقوف على الملاحظات والاستنباطات من خلال استعراض هذه الآيات الأربعين ، ولتظهر لنا الأسباب المتنوعة للصد عن سبيل الله، وكذلك صفات الصادين، ووسائلهم ، وغاياتهم ، ثم نقف على وعيد الله بأولئك الصادين عن سبيله ، ولندرك أن قضية الصد هي حقيقة واقعة قديماً وحديثاً ، وستبقى في المستقبل لأنها مظهر للصراع القائم بين الحق والباطل، ويبرز لنا من خلال هذا الترابط والتكامل لهذا الموضوع القرآني إعجازُ القرآن في أسلوبه وتركيبه ومعانيه مما يعجز عن مثله جميع الخلق .

Hindrance from the Path of Allah Subjective Studied

Abstract: As a real example of a type of subject studied, this study discusses the themye of hindrance from the path of Allah.
This is done through combining fourty verses from several Suras in the Holy Qura'n. In addition to showing the various reasons for such hindrance, it shows the characteristics, purposes and the hereafter punishment prepared for those who standing behind hindrance. Furthermore, throug the miraculous Quranic style, it has been shown how hindrance is a reality happened in the past and recently and will continue to happen in the future as it is a feature of the struggle between the right and the wrong.

مقدمة

الحمد لله نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فإن الصد عن سبيل الله مشكلة واقعية قديماً وحديثاً ، وإن أعداء هذا الدين سواء كانوا كافرين أو منافقين أو أهل كتاب ، يتربصون الدوائر بالإسلام والمسلمين ، ويترصدون المسلمين الصادقين في كل مكان ، ليصدوهم ويفتنوهم عن دين الله ، وتمتد هذه القضية امتداد هذا الدين ، فبدأ الصراع منذ بدء الخليقة ومع كل الأنبياء، واستمر عبر العصور والأجيال حتى يومنا هذا ، وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فهذه إذن طبيعة الدعوات وطريق النبوات ، ومن

صور هذا الصد أن يُسمى المسلمون اليوم بالإرهابيين والمتطرفين ... وغيرها من المسميات، لا لشئ إلا لكونهم آمنوا بالله وجاهدوا في سبيله .

ولذلك نال هذا الموضوع نصيباً وافراً في كتاب الله ، حيث تعرضت لموضوع "الصـــد" أربعون آية في سور متعددة مكية ومدنية ، لتغطي الموضوع من جميع جوانبه مبينة أسباب الصد ووسائله وغاياته ، مع بيان صفات الصادين وما يلحقهم من وعيد الله بسبب صدهم عن ســـبيله ، وفتنة المؤمنين عن دينه ، فدفعنا ذلك إلى دراسة هذا الموضوع دراسة قرآنية موضوعية ، تمثل لوناً من ألوان التفسير الموضوعي ، وذلك هو "الموضوع القرآني" .

ومن خلال الوقوف على جميع الآيات الخاصة بموضوع الدراسة ، وتصنيفها ودراستها من خلال كتب التفسير ، لنقف على المعنى الإجمالي لهذه الآيات ، مما يُسهم فـــي تحقيـــق هـــذه الدراسة ، ويبرز أهمية هذا الموضوع الواقعي المعاصر ، خاصة وأن التفسير الموضوعي هـــو تفسير العصر يعالج قضايا الواقع ومستجدات الأمور والأحداث ، وهذا مما يؤكد صلاحية القرآن لقيادة البشرية في كل العصور ومع كل الأجيال .

وتحقيقاً لهذا الهدف فقد جعلنا خطة البحث من مقدمة وخمسة مباحث وخاتمـــة ، وهـــي موجزة فيما يلي :-

المقدمة : توضح أهميـــة الموضـــوع ، وسبب اختياره ، وما تشتمل عليه الدراسة من منهجيـــة ومباحث.

- **المبحث الأول** : "**مقدمات حول الموضوع**" . وفيه مطلبان:
  المطلب الأول : معنى الصد لغة وشرعاً .
  المطلب الثاني : الاستعمال القرآني لـــ " صَدَّ " ومشتقاتها .
- **المبحث الثاني : أسباب الصد عن سبيل الله .**
  المبحث الثالث : صفات الصادين عن سبيل الله .
- **المبحث الرابع : وسائل الصد عن سبيل الله وغايته** . وفيه مطلبان:
  المطلب الأول : وسائل الصد عن سبيل الله .
  المطلب الثاني : غاية الصد عن سبيل الله.
- **المبحث الخامس : وعيد الله للصادين عن سبيله .**

الخاتمة : وفيها خلاصة البحث وما تم التوصل إليه من نتائج وتوصيات .

والله الموفق لما يحب ويرضى

المبحث الأول

مقدمات حول الموضوع

المطلب الأول : معنى الصد لغة وشرعاً

أولاً : معنى الصد لغة

1- معناها عند ابن فارس

"صد" الصاد والدال معظم بابـه يؤول إلى إعراض وعدول ، ويجيء بعد ذلك كلمات تشذ.

فالصَّدُّ : الإعراض ، يقال : صَدَّ يصُدُّ ، وهو ميل إلى أحد الجانبين ، ثم تقول صـددت فلاناً عن الأمر ، إذا عَدَلْتُه عنه .... .

ومما هو صحيح قولهم : صَدَّ يَصِدُّ ، وذلك إذا ضَجَّ ، وقرأ قـوم **﴿ إِذَا قَوْمُـكَ مِنْـهُ يَصِدُّون َ ﴾** [1] قالوا يضجون ... [2].

2- معناها عند الراغب الأصفهاني

صدد : الصدود والصد قد يكون انصرافاً عن الشيء ، وامتناعاً نحو **﴿ يَصُدُّونَ عَنْـكَ صُدُوداً﴾** [3] ، وقد يكون صرفاً ومنعاً نحو **﴿ وَزَيَّـنَ لَهُـمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيل ﴾** [4] ، **﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَـدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّه﴾** [5] ،**﴿ ويَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّه ﴾** [6] **﴿ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾** [7] ، **﴿ وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْـك ﴾** [8] إلى غير ذلك من الآيات ،[9].

3- معناها عند السمين الحلبي

الصَّدُّ : المنع ، قال تعالى : **﴿ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّه ﴾** [10] ، والصدُّ : الإعـراض ومنه قولـه تعالى : **﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾** [11] ، وقُرِىء بكسر الصـاد أي يضجّـُون ، يقـال : صدَّ يصِدُّ أي ضجَّ ، ويأتي الصدُّ بمعنى الصرف والمنع ، نحو قوله : **﴿ فَصَدَّهُمْ عَـنِ السَّبِيل ﴾** [12] ، ويأتي تَصدّى بمعنى تتعرض ، قال تعالى : **﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾** تصدى لـه : إذا تعرض ... [13] .

4- معناها عند ابن منظور والفيروزأبادي

قال ابن منظور : الصَّدُّ : الإعراض والصُّدُود ، قال تعالى : **﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُـدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾** [14] يقال : صدها عن الإيمان العادة التي كانت عليها لأنها نشأت ولم تعرف إلا قوماً يعبدون الشمس ، فصدتها عادتها **﴿ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾** [15] ، المعنى صدها كونها من قوم كافرين عن الإيمان والصَّدُّ : الهجران ، وصَدَّ يَصُدُّ صَدّاً : ضج وعج ... [16].

قال الفيروزأبادي : الصُدود : الإعراض ، قال تعالى : **﴿ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً ﴾** [17]، وصده عن الأمر صداً : بمعنى صرفه ومنعه ، ثم ذكر كلاماً عن بلقيس قريباً مما ذكره ابن منظور أعلاه [18].

ونلاحظ أن المعاني اللغوية السابقة يجمعها الإعراض والعدول عن الحق.

ثانياً : معنى الصد شرعاً

لم نقف على تعريف شرعي فيما اطلعنا عليه من كتب المعاجم والمصطلحات والتعريفات ، ولذا فإننا اجتهدنا في وضع تعريف شرعي للصد عن سبيل الله معتمدين على المعنى اللغوي السابق وذلك فيما يلي:

فالصد : هو الامتناع والانصراف عن الصراط القويم بنية الإعراض عنه، وعدم قبول الحق؟

ولعلنا بهذا التعريف الشرعي قد جمعنا الهدف والغاية والوسيلة للصد عن سبيل الله وهذا التعريف يحقق الصد في الماضي والحاضر ، وفي أي مكان كان ، ومع أي شخص كان، ويتلاءم مع الآيات القرآنية المتضمنة لموضوع الصد عن سبيل الله سواء كانت مكية أو مدنية .

المطلب الثاني : الاستعمال القرآني لصد ومشتقاتها

جاء هذا اللفظ القرآني إحدى وأربعين مرة في أربعين آية [19] ، منها ثماني عشرة آية مكية ، واثنتان وعشرون آية مدنية ، وقد جاءت هذه الآيات في ثلاث وعشرين سورة من كتاب الله تعالى ، منها إحدى عشرة سورة مكية ، واثنتا عشرة سورة مدنية .

وقد جاء هذا اللفظ بعدة صيغ واشتقاقات ، منها الماضي المجرد من الضمائر المبني للمعلوم والمبني للمجهول أيضاً ، والماضي المتصل بضمائر رفع أو نصب ، أو رفع ونصب معاً، ومنها ما هو بصيغة المضارع المتصل بضمائر الرفع أو النصب أو كليهما معاً ، ومنها ما هو بصيغة المصدر المجرد من الإضافة ، والمصدر المضاف للضمير ، ومنها ما هو بصيغة المفعول المطلق.

ولأجل أن تتضح هذه التصاريف والاشتقاقات بصيغها المختلفة المشار إليها أعلاه ، ولأجل أن تتضح السور المكية والمدنية بأرقام الآيات التي وردت فيها هذه الصيغ كان هذا الجدول المرتب للسور حسب تسلسلها في المصحف ، وذلك فيما يلي :-

اسم السورة	رقم الآية	زمن نزولها	صيغة اللفظ الوارد
البقرة	217	مدنية	صَدٌّ
آل عمران	99	//	تصدون
النساء	55	//	صدًّ
//	61	//	يصدون – صدوداً
//	160	//	بصدهم
//	167	//	صدوا
المائدة	2	//	صدوكم
//	91	//	يصدكم
الأعراف	45	مكية	يصدون
//	86	//	تصدون
الأنفال	34	مدنية	يصدون
//	36	//	ليصدوا
//	47	//	يصدون
التوبة	9	//	صدوا
//	34	مدنية	يصدون
هود	19	مكية	يصدون
الرعد	33	مدنية	صُدُّوا
إبراهيم	3	مكية	يصدون
//	10	//	تصدونا
النحل	88	//	صدوا
//	94	//	صددتم
طه	16	//	يصدنك
الحج	25	مدنية	يصدون
النمل	24	مكية	صدهم
//	43	//	صدها
القصص	87	//	يصدنك
العنكبوت	38	//	صدهم

اسم السورة	رقم الآية	زمن نزولها	صيغة اللفظ الوارد
سبأ	32	مكية	صددناكم
//	43	//	يصدكم
غافر	37	//	صُدَّ
الزخرف	37	//	يصدونهم
//	57	//	يصدون
//	62	//	يصدنكم
محمد	1	مدنية	صدوا
//	32	//	صدوا
//	34	//	صدوا
الفتح	25	//	صدوكم
المجادلة	16	//	صدوا
المنافقون	2	//	صدوا
//	5	//	يصدون

ومن خلال استعراض مشتقات صد بصيغها وتصاريفها المتعددة ، ومن خلال معرفة زمن نزول هذه السور يمكن الوقوف على ملاحظتين هامتين وهما:-

الأولى : أن الصيغ الموجودة للصد في كتاب الله جميعها تتعلق بالماضي والمضارع والمصدر والمفعول المطلق ، وذلك أن الصد هو ابتلاء يقع للمؤمن في ماضيه وحاضره . وهو يصبر على ما أصابه في الماضي ، لقوله تعالى على لسان لقمان يوصي ولده: **﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾** [20] وأما الحاضر فالمؤمن يواجه الحدث في حينه مستعيناً بالله دفعاً للأذى ، وصبراً على البلاء حتى يأتي الفرج بإذنه تعالى ، مع الوعيد الشديد لمن يقع ذلك منه في الماضي أو الحاضر . قال تعالى : **﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** [21] وقال : **﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً ﴾** [22] .

وهكذا نجد اللوم على المنافقين بسبب صدهم في الماضي وما زالوا يصدون في الحاضر صدوداً فقاتلهم الله أنّى يؤفكون عن الحق إلى الباطل ، وصدق الله حيث يقول : **﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾** [23] .

أما صيغة الأمر من "صد" التي تفيد الاستقبال فلم ترد في كتاب الله مطلقــاً ، لأن الله لا يحب السوء من القول أو العمل وبالتالي لا يأمر به، بل ينهى عنه، ويعاقب على فعله، ولذلك لــم تأت صيغة الأمر بالصد عن سبيل الله.

الثانية : من خلال عدّ الآيات المكية والمدنية وما وردت فيه هذه الآيات من سور مكية أومدنيــة نلاحظ تقارباً في عدد الآيات مع ازدياد الآيات المدنية قليلاً ، وكذلك تقارباً في عدد الســور مــع ازدياد السور المدنية قليلاً ، وهذا يوحي بأن الصد عن سبيل الله كان موجوداً في العهدين المكــي والمدني ، وذلك أن كفار مكة لم يتوانوا في صد محمد ﷺ ومَنْ اتبعه من المسلمين ، ومارســوا معهم جميع أنواع الإيذاء والتعذيب وبكافة الوسائل والطرق ، فثبت المسلمون أمام هذا الابــتلاء والتمحيص ، واحتملوا الأذى في سبيل الله حتى جعل الله لهم فرجاً ومخرجاً بالهجرة إلى المدينة، حيث قويت شوكتهم وأصبحت لهم دولة وقوة مما جعل الحقد يزداد على المسلمين ، فوُجد أكثــر من عدو متربص ، منهم المنافقون وأهل الكتاب وهؤلاء كانوا داخــل المدينــة ، وهنــاك عــدو خارجي منهم كفار قريش والقبائل العربية التي ما زالت على الكفر ، بالإضافة إلى دولتي الفرس والروم اللتان تأبيان أن تسلّما قيادة العالم يومها للمسلمين ، فكانــت المواجهــة داخــل المدينــة وخارجها مما اقتضى زيادة عدد الآيات والسور المدنية عما نزل في مكة ، وإن كانــت البدايــة أصعب نظراً لقلة عدد المسلمين وضعف عُدَدِهم ، وطمع العدو فيهم ، إنها سنة الله في الصــراع بين الحق والباطل قديماً وحديثاً ومستقبلاً ، وستكون الغلبة والنصــر بــإذن الله للحــق وأهلــه ، والخزي والعار للباطل وأهله .

المبحث الثاني
أسباب الصد عن سبيل الله

إن أسباب الصد عن سبيل الله ودوافعه كثيرة ومتعددة ، ونحرص على الوقوف عليهــا من خلال الآيات الواردة في موضوع الصد ، ولن نخرج عن إطارها خشية الاستطراد والإطالــة مع شيء من التفسير بما يسمح به المقام ، وقد يتضمن السبب الواحد عدة آيــات كلهــا متعلقــة بموضوع الصد عن سبيل الله ، وقد يتضمن السبب أيضاً عدة جزئيات وفرعيات تنطــوي تحتــه وتؤول إليه مرتبطة بآياتها أيضاً ، وإليك هذه الأسباب مرتبة حسب الخطورة قــدر المســتطاع ، وذلك فيما يلي :

1- الكفر: وأخطر أنواع الكفر هو الكفر بالله تعالى و الكفر بالآخرة والبعث ، أما الكفر بالله تعالى فهو سبب رئيس في الصد عن سبيل الله لأن الكافر بالله يعبد معبوداً من دون الله ، وهذه العبــادة

تجعله يقاوم كلَّ عبادة سواها يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ** ﴾ [24] .

يقول سيد قطب : "ثم يتدخل السياق القرآني لبيان ما كان قد منعها قبل ذلك من الإيمان بالله وصدها عن الإسلام عندما جاءها كتاب سليمان ، فقد نشأت في قوم كافرين ، فصدها عن عبادة الله عبادتها من دونه من خلقه ،وهي الشمس كما جاء في أول القصة" [25] .

وغالباً ما يكون الكفر هو القاعدة الأولى والسبب الأول الذي يدفع للصد عن سبيل الله، ولذلك قدّم في الذكر على غيره باعتباره الأساس والأصل الداعي للصد ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾ [26] .

فصفة الكفر قد دفعتهم لإنفاق الأموال بهدف الصد عن سبيل الله ، وفي آخر الآية كرر لهم هذه الصفة لتسجيل الكفر عليهم ، وليكون علة في حشرهم إلى جهنم ، ونجد الكفر دافعاً للصد عن المسجد الحرام ولصد الهدى أيضاً أن يبلغ محله ، قال تعالى : ﴿ **هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ** ... ﴾ [27] .

وأما دور الكفر بالآخرة في الصد عن سبيل الله فهو واضح من خلال الآيات ، وذلك أن الكافرين بالآخرة لا يبالون بما يفعلون من منكر وصد عن سبيل الله لأنهم لا يخافون حساباً ولا عقاباً ، ولذلك فهم شر الناس أقوالاً وأفعالاً ، قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ** ﴾ [28].

وقال في هود : ﴿ **الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ** ﴾ [29].

وقد تكررت كلمة "هم" في خاتمة الآية على جهة التوكيد لثباتهم في الكفر ، وقدم الجار والمجرور "بالآخرة" للاختصاص .

2- **النفاق** : والنفاق مرض خطير ، وشره مستطير ، لأنه وجه آخر للكفر المستور المختفي وهو أشد خطورة في الصد عن سبيل الله من الكفر الصريح ، قال تعالى في وصفهم : ﴿ **هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ [30] فهم يتخذون أيمانهم غطاءً وسترة للصد عن سبيل الله بكافة أشكاله وألوانه ، قال تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [31] ومثل ذلك في سورة المجادلة قال تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾ [32].

وهؤلاء المنافقون إذا دُعوا إلى الله والرسول ليحكم بينهم أعرضوا وصدوا عن ذلك لعلمهم أن الرسول ﷺ لا يحكم إلا بالحق ، ولا يقبل الرشوة ، والمنافقون لا يريدون الحق والعدل قال تعالى : **﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً ﴾** (33).

3- **تزيين الشيطان** : إن الشيطان هو العدو الأول للإنسانية كلها منذ عهد آدم وإلى قيام الساعة ، وقد جنّد نفسه لإضلال بني آدم ، وصدهم عن سبيل الله ، قال تعالى : **﴿ وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾** (34).

يقول وهبة الزحيلي : "ولا يصرفنكم الشيطان عن اتباع الحق بوساوسه التي يلقيها في نفوسكم ، إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة من عهد أبيكم آدم عليه السلام" (35) .

وقد كان للشيطان دور بارز في تزيين عبادة الشمس من دون الله وذلك مع بلقيس وقومها بهدف صدهم عن سبيل الله ، قال تعالى : **﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴾** (36) ، وهكذا زين الشيطان لعاد وثمود أعمالهم الكفرية ليصدهم عن سبيل الله ، قال تعالى : **﴿ وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾**(37).

وقد كان وعيد الله لكلّ من يعرض عن ذكر ربه وكتابه بأن يجعل له شيطاناً لا يفارقه بالوسوسة ، وسبب ذلك هو الانشغال بزهرة الدنيا الفانية ، فيكون في ذلك صده عن سبيل الله قال تعالى : **﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾** (38) .

وحقيقة التزيين أن الشيطان يُظهر للإنسان العمل السيء القبيح في صورة العمل الحسن الجميل ، ويرغّب ويشجّع على فعله ، وذلك بهدف الصد عن سبيل الله ، وهذه وسيلة شيطانية ماكرة ، قال تعالى : **﴿ ... وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ ﴾** (39).

يقول الدكتور وهبة الزحيلي : "زُيّن لفرعون الجبار سوء عمله وقبح صنعه من الشرك والتكذيب ، فتمادى في الغي ، واستمر على الطغيان ، أي زيّن له الشيطان عمله السيء ، فصده عن سبيل الهدى والرشاد ، وحجبه عن طريق الحق والعدل والسداد ، وما كان كيده واحتياله وعمله الذي يوهم به الناس إلا في خسار وضياع مال ..." (40). ومن هذا التزيين قوله تعالى: **﴿... بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾** (41) .

وفي هذه الآية والتي قبلها بُني كلٌ من الفعلين "زُيِّن ، وصُدَّ" للمجهول ، لأن الفاعل الحقيقي للتزيين وما ترتب عليه من صد هو الشيطان ، وقد حُذِف ذكره إعراضاً عنه وترفعاً عن ذكره تحقيراً له وإذلالاً .

ويُعدُّ الصد عن ذكر الله وعن الصلاة هدفاً رئيساً للشيطان وذلك من خلال تزيين الخمر والميسر ، وما يترتب عليهما من إيقاع العداوة والبغضاء ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ** ﴾ (42) .

وبهذا يلعب الشيطان دوراً بارزاً في تزيين المنكرات والمحرمات بهدف إيقاع الإنسان فيها وصده عن طاعة الله وذكره .

4- **الاستكبار والإجرام والإفساد** : وهذه أسباب مترابطة يترتب بعضها على بعض ، ومع ذلك تكفي كل واحدة منها أن تكون سبباً مستقلاً للصد عن سبيل الله ، فالمستكبر تأخذه العزة بالإثم ويندفع بغروره ، واستكباره للصد عن سبيل الله ، وقد يُجرم ويفسد لأجل أن يتحقق مزيدٌ من الصد ، قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ** ﴾ (43) فهؤلاء نفاقهم ولَّدَ عندهم استكباراً جعلهم يعرضون عن رسول الله ﷺ ويتولون عنه ، متكبرين عن الإيمان ، وقد كان ذلك مع عبد الله بن أبيّ كما رُوي عن ابن عباس (44) .

وقد يجتمع الاستكبار من جهة والإجرام من جهة أخرى للصد عن هدى الله عز وجل قال تعالى : ﴿ **قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ** ﴾ (45) .

وهذه مواجهة بين المستكبرين والمستضعفين يتلاومون فيما بينهم ، كلٌ يتهم الآخر بأنه السبب في الصد عن الهدى .

يقول أبو السعود في تفسيره للآية : كأنه قيل فماذا قال الذين استكبروا في الجواب ؟ فقيل قالوا : ﴿ **أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ** ﴾ منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الإيمان ، مثبتين أنهم هم الصادون بأنفسهم بسبب كونهم راسخين في الإجرام ، فرد عليهم المستضعفون بل صدنا مكركم بنا في الليل والنهار (46) . وأما الإفساد فهو سبب مترتب على الكفر للصد عن سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ** ﴾ (47) ، فعبر عن الصد في آخر الآية بالفساد ، إذ المعنى زدناهم عذاباً فوق العذاب بسبب الذي كانوا يفسدونه ، ولذلك كان العذاب الأول في

الآية بسبب الكفر ، وزيادة العذاب الثاني بسبب الصد المتسبب عن الفساد (48) .

5- **اتباع الهوى** : وهذا نوع من الانحراف مترتب على عدم الإيمان بالله ، فإذا انعدم الإيمان في قلب الإنسان ، يلجأ عندئذٍ لهواه وما تملي عليه نفسه الأمارة بالسوء فيأتمر بأمرها وينتهي بنهيها، وقد جعل الله اتباع الهوى دافعاً للصد عن سبيل الله ، قال تعالى : **﴿ فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾** (49) .

فقد جعل الله اتباع الهوى المترتب على عدم الإيمان مما يصد عن الإيمان بالساعة والاستعداد لها بالأعمال الصالحة ، ومن اتباع الهوى أن يشتري الإنسان بآيات الله ثمناً قليلاً قال تعالى : **﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** (50) يقول المنصوري : أي استبدلوا بالقرآن وآياته الآمرة بالاستقامة ، تركوها وأخذوا بدلها "ثمناً قليلاً" عوضاً يسيراً وهو اتباع الهوى والشهوات ، "فصدوا" أي صرفوا ومنعوا غيرهم عن الإيمان بدينه الموصل إلى الله تعالى ، فبئس ما كانوا يعملونه ، والمخصوص بالذم محذوف أي عملهم هذا القبيح ، وهو استبدال آيات الله وما ترتب عليها من صد عن سبيله (51) .

ومن الصد ما يكون سببه هوى النفس الذي يؤدي بصاحبه إلى الشرك في عبادة الله تعالى ، وهذا الهوى يدفع إلى الصد عن آيات الله المنزلة على رسول الله ﷺ ، وقد يكون ذلك هوى المشركين الصادين ، قال تعالى : **﴿ وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾** (52) .

يقول المراغي : "أي ولا تبال بهم ، ولا تهتم بمخالفتهم لك ، وصدهم الناس عن طريقتك ، فإن الله معك ومؤيدك ، ومظهر ما أرسلك به على سائر الأديان . ثم أمره أن يصدع بالدعوة ، ولا يألوا جهداً في تبليغ الرسالة" (53) .

ومن الصد النابع من الهوى صد قريش بمعنى ضجيجهم وصياحهم فرحاً بالمثل الذي اختص بابن مريم عليه السلام كيف يكون معبوداً من قومه ، وقد قال تعالى : **﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾** (54) ففرحت قريش بهذا المثل المضروب ، ظانين أن عيسى عليه السلام داخل في الوعيد، في حين أن "ما" في قوله : "وما تعبدون" هي لغير العاقل في هذا الموضع ، والمقصود بها الأصنام والأوثان ، ولا تشمل الآية عيسى والعزير والملائكة ، فهؤلاء كلهم عباد لله موحدون. (55) وقد اشار الله إلى ذلك الفهم الخاطئ والصد النابع من الهوى بقوله تعالى : **﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾** (56) . ومن الهوى استحباب الحياة الدنيا على الآخرة مما يؤدي إلى الصد عن سبيل الله ، قال تعالى : **﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴾** (57) .

يقول الفخر الرازي : هذه من الصفات التي وصف الله الكفار بها ممن كـان موصـوفاً باستحباب الدنيا فهو ضال ، ومن منع الغير من الوصول إلى سـبيل الله ودينـه فهـو مضـل ، فالمرتبة الأولى إشارة إلى كونهم ضالين ، وهذه المرتبة الثانية وهي كونهم صادين عن سبيل الله، إشارة إلى كونهم مضلين [58] .

ومن الهوى أن يظلم الإنسان في معاملة مَنْ لا ذنـب لـه ، قـال تعـالى : ﴿ ... **وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْـوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ... ﴾ [59] .

ذكر الواحدي عن زيد بن أسلم سبب نزول الآية قال : "كان رسـول الله ﷺ وأصـحابه بالحديبية حين صدهم المشركون عن البيت ، وقد اشتد ذلك عليهم ، فمر بهم ناس من المشـركين يريدون العمرة ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : نصد هؤلاء كمـا صـدنا أصـحابهم فـأنزل الله الآية"[60] . والمعنى أن لا تصدوا هؤلاء عن المسجد الحرام وتمنعوهم وتعتدوا عليهم بجريـرة أولئك ، فهؤلاء لا ذنب لهم فلا تظلموهم ، ولذلك أمرهم بالتعاون على البر والتقوى ، ونهاهم عن الإثم والعدوان . وبهذا ندرك كيف يكون الهوى سبباً في الصد عن سبيل الله ، سواء كـان ذلـك بالنص الصريح أو من خلال العلاقة السببية بين الهوى وما يسببه من أفعال وتصرفات تؤدي إلى الصد .

المبحث الثالث

صفات الصادين عن سبيل الله

إن صفات الصادين هي الملامح العامة التي ترافقهم حال صدهم عن سبيل الله ، وصفهم الله بها حتى يتميزوا ويُعرفوا ويُحذر كيدهم ومكرهم ، ويُتقى شرهم ، وقد نجد بين هذه الصـفات وبين غيرها من أسباب الصد ووسائله وغاياته نوع التقاء واشتراك في بعض النقـاط إذ يصـلح بعضها أن يكون سبباً للصد وفي نفس الوقت يصلح أن يكون صفة للصاد ، كالكفر مثلاً هو سبب أوّل ورئيس ، وفي نفس الوقت هو صفة للصاد عن سبيل الله ، وهكذا في بعض نقاط أخرى مما لا يسبب إشكالاً أو شبهة ، وذلك كمثل الماء يكون سبباً لحياة الإنسان ، وفي نفس الوقـت هـو مركب رئيس في جسم الإنسان ، فلا يمنع وجوده هنا من وجوده هناك .

ونقف مع هذه الصفات والمواصفات المنهجية التي تم اعتمادها في أسباب الصد سابقاً ، وذلك فيما يلي :-

1- **الكفر** : والمراد به الكفر بالله وآياته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فكل ما ينطبق عليه تعريف الكفر داخل في هذه الصفة التي وصف الله بها الصادين في أكثر من آية ، وفي مناسبات متعددة، مما يجعل أعمالهم مهما كانت في الظاهر حسنة وخيّرة ، فإنها مردودة عليهم لا يقبلها الله بحال بسبب كفرهم وصدهم عن سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ [61] .

يقول الزحيلي : "الذين جحدوا توحيد الله وآياته ، وعبدوا غيره ، وصدوا غيرهم عن دين الإسلام بنهيهم عن الدخول فيه ، وهم كفار قريش ، أبطل الله ثواب أعمالهم وأحبطها ، وجعلها ضائعة ، ولم يجعل لها ثواباً ولا جزاءً في الآخرة" [62] .

ومن المصائب أن يكون الإنسان كافراً ، ويموت على كفره مع صده عن سبيل الله دون توبة أو أوبة إلى الحق ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ** ﴾ [63] .

وهكذا نجد في أكثر من آية صفة الكفر للصادين ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً** ﴾ [64] وقوله : ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ** ﴾ [65] .

ونجد هذه الصفة أيضاً في سورة الأنفال [66] ، وسورة الحج [67] ، وسورة الرعد[68] ، وسورة البقرة [69] ، ومن الآيات التي جمعت إلى صفة الكفر صفة أخرى مترتبة عليها وهي مشاقة الرسول ، قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً ...** ﴾ [70] .

2- **موقفهم السلبي من المسجد الحرام** : قد كان للمشركين الصادين عن سبيل الله مواقف تؤخذ عليهم تجاه المسجد الحرام ، حيث صدوا عن المسجد الحرام وأخرجوا أهله منه ، وفتنوا الناس عن دينهم ، واستمرار قتالهم للمسلمين ، وإرادة الإلحاد والظلم في المسجد الحرام ، كل ذلك في نظرهم قليل مقابل ما وقع فيه المسلمون خطأ وهو القتال في الشهر الحرام ، ولكن ما يفعلونه في حكم الله ودينه هو أكبر جرماً وإثماً مما وقع فيه المسلمون ، قال تعالى : ﴿ **يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ...** ﴾ [71] .

يقول سعيد حوى : "لما أكثر المشركون في تعيير المسلمين بالقتل في الشهر الحرام ، وإذ اشتد ذلك على المسلمين ، وخاصة على مَنْ شاركوا في القتل ، أنزل الله عز وجل مبيناً أن

الصد عن سبيل الله ، وعن المسجد الحرام ، وإخراج أهل المسجد الحرام منه ، وأن الكفر بـــالله أكبر من القتل في الشهر الحرام ، وأن فتنة المسلم عن دينه حتى يُرد إلى الكفر أكبر من القتـــل ، فليكف المشركون عن استغلال هذه الحادثة وليطمئن المسلمون ، ثم بيّن الله عز وجل حقيقة وهي أن أهل الكفر مقيمون على أخبث الكيـــد وأعظمه لأهل الإسلام ، وهم مستمرون في قتال أهـــل الإسلام حتى يرتدوا عن الإســـلام ، وفي هذا كله بيان لحكمة القتال إذ بدون قتال تكـــون الفتنـــة عن دين الله ، ويكـــون استحلال كل شعيـــرة ، وتكون الردة الشاملة عن ديـــن الله" (72) .

ومن هذا الموقف السلبي الذي اتصف به الصادون عن سبيل الله تجاه المســـجد الحـــرام أنهم أرادوا فيه المعصية والظلم ، قال تعالى : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَـــنْ سَـــبِيلِ اللَّـــهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾** (73) .

والمعنى :"إن الذين كفروا بالله ورسوله ، وصدوا عن سبيل الله وعن المسجد الحرام مَنْ أراده من المؤمنين الذين هم أحق الناس به ، مع أن الله تعالى جعله للناس جميعاً يعبدون الله فيه ، يستوي في شأنه المقيم فيه ، والنائي عنه من أهل البوادي وغيرهم ومن يرد فيه مراداً ما عـــادلاً عن القصد والاستقامة ، أي يهم فيه بمعصية كبيرة عامداً قاصداً أنه ظلم متعمد لا تأويل فيه نذقه يوم القيامة من العذاب المؤلم" (74) .

3- **الكسب الحرام وسوء الاستغلال** : إن المال نعمة من نعم الله على الإنسان ، وجعل الله طرقاً مشروعة لكسبه وإنفاقه ، وحرّم أكل الأموال بالباطل ، وحرّم كنزها ، ونهى عن البخل بها وعدم الإنفاق منها في سبيل الله ، قال تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَـــارِ وَالرُّهْبَـــانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِـــزُونَ الـــذَّهَبَ وَالْفِضَّـــةَ وَلا يُنْفِقُونَـهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾** (75) .

هذا هو حال الأحبار والرهبان ، وفي ذلك تنبيه للمؤمنين حتى يتجنبوا تلـــك الصـــفات، ولذلك وجّه الخطاب إليهم .

هؤلاء الأحبار والرهبان هم الذين صدوا عن سبيل الله فلا تكونوا مثلهم ، وهـــم الـــذين أكلوا أموال الناس بالرشوة فلا تفعلوا مثلهم ولا تتصفوا بصفاتهم ، وهم الـــذين جمعـــوا الـــذهب والفضة وحفظوها سواء كانت بالدفن أو بوجه آخر ، ولم ينفقوا منها في سبيل الله ، هـــذه هـــي صفاتهم التي ذمهم الله بها وبشرهم عليها بالعذاب الأليم (76) .

4- **الظلم والمكر والضلال** : قد اتصف الصادون عن سبيل الله بصفات الظلم حيث فعلوا الذنوب والمعاصي الكبيرة ، وهكذا زُيّن لهم المكر ، وقد أضلهم الله بسبب ذلك الصد وجعـــل الضـــلال

صفة ملازمة لهم ، قال تعالى : **﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً ﴾** (77) وقال تعالى : **﴿ ... بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾** (78) .

بيّن تعالى أن الشيطان قد زيّن للكافرين المكر السيء الذي أدى بهم إلى الصد عن سبيله، وقد جعل الله الضلال والعمى والتيه صفة لهم ، لا يستطيع أحد أن يدفعها عنهم ، فهم يستحقون هذا الوصف ، لأنهم مكروا وصدوا حيث زيّن لهم الشيطان هذا الأمر ، فعميت بصيرتهم ورأوا القبيح حسناً .

وقد وصفهم الله في آية أخرى بأنهم في ضلال بعيد ، قال تعالى : **﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴾**(79).

"وصف الله هؤلاء الكفار بالضلال البعيد ، وهذا هو أقصى مراتب الضلال بسبب وصف الضلال بالبعد ، وهذه المرتبة في غاية البعد عن طريق الحق إذ لا يعقل ضلال أقوى وأكمل من هذا الضلال ، وقد تمكّن ذلك في نفوسهم ، ولذلك يبعد ردهم إلى طريق الهدى والخير" (80) .

5- **الحلف بالأيمان الكاذبة :** إن هذه الصفة ملازمة للمنافقين ، حيث وصفهم بذلك في أكثر من آية ، وفي مجال الصد عن سبيل الله بالذات ، قال تعالى : **﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** (81) ولذلك ينهى الله المؤمنين عن هذه الصفة القبيحة التي لا تليق بمؤمن بحال من الأحوال ، وإلا يضطرب الإيمان بعد ثبوته ، قال تعالى : **﴿ وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾** (82) .

يقول سيد قطب : "إن اتخاذ الأيمان غشاً وخداعاً يزعزع العقيدة في الضمير ، ويشوّه صورتها في ضمائر الآخرين ، فالذي يقسم وهو يعلم أنه خادع في قسمه ، لا يمكن أن تثبت له عقيدة ، ولا أن تثبت له قدم على صراطها ، وهو في الوقت ذاته يشوّه صورة العقيدة عند مَنْ يقسم لهم ثم ينكث ، ويعلمون أن أقسامه كانت للغش والدخل ، ومن ثم يصدهم عن سبيل الله بهذا المثل السيء الذي يضربه للمؤمن بالله" (83) .

6- **البطر والرياء :** وهاتان الصفتان جعلهما الله للكافرين الصادين عن سبيله ، وهم كفار قريش حيث خرجوا يوم بدر بعد أن سلمت عيرهم قاصدين البطر بهذا الخروج والسمعة بين الناس ، مليئة نفوسهم بالهوس والغرور والصد عن سبيل الله ، حيث تمت المواجهة بينهم وبين المؤمنين وكان النصر والغلبة للقلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، وهذا هو مصير كل باطرٍ يرائي الناس ،

ويصد عن سبيل الله ، قال تعالى : **﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾** (84) .

يقول الشوكاني : "نهى الله المؤمنين أن تكون حالتهم كحالة هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس وهم قريش ، فإنهم خرجوا يوم بدر ليحفظوا العير التي كانت مع أبي سفيان ، ومعهم القيان والمعازف ، فلما بلغوا الجحفة بلغهم أن العير قد نجت وسلمت ، فلم يرجعوا بل قالوا لا بد لهم من الوصول إلى بدر ليشربوا الخمر ، وتغني لهم القيان ، وتسمع العرب بمخرجهم ، فكان ذلك منهم بطراً وأشراً وطلباً للثناء من الناس وللتمدح إليهم والفخر عندهم وهو الرياء ... أي خرجوا بطرين مرائين صادّين عن سبيل الله" (85).

وهكذا نرى مجموعة من هذه الصفات للصادين عن سبيل الله ، حتى يُعرفوا من خلالها، فيُحذر كيدهم ومكرهم وعداؤهم .

المبحث الرابع

وسائل الصد عن سبيل الله وغايته

أولاً : وسائل الصد عن سبيل الله

إن وسائل الصد متنوعة وكثيرة، وسنخص الحديث هنا بأربع وسائل فقط ، ونبدأ بأكثرها وضوحاً وتصريحاً حيث ذكر بعد الوسيلة لام تعليل متصلة بفعل الصد لبيان أنها مفعول لأجله وذلك فيما يلي :-

1- **إنفاق الأموال** : ومعلوم دور المال في تحقيق الأهداف والغايات ، فهو وسيلة فعالة من وسائل الصد عن سبيله ، كما أنه وسيلة فعالة في الدعوة إلى سبيل الله أيضاً ، فالاعتبار في ذلك حسب نية المنفق والهدف الذي يريد بلوغه وتحقيقه ، فالمؤمن ينفق ماله في الخير وفيما ينفعه في عاجل أمره وآجله ، أما الكافر فهو ينفق ماله ليصد عن سبيل الله ، قال تعالى : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾** (86) .

ذكر الواحدي في سبب نزول الآية عن محمد بن إسحاق قال : "لما أصيبت قريش يوم بدر فرجع فلهم (87) إلى مكة ورجع أبو سفيان بعيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة ابن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومَنْ كانت له في تلك العير تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش إن محمداً قد

وتركم وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال الذي أفلت على حربه ، لعلنا ندرك منه ثأراً بمن أُصيب منا ، ففعلوا ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية" [88] .

يقول سيد قطب : "والكفار ينفقون أموالهم ليتعاونوا على الصد عن سبيل الله ، هكذا فعلوا يوم بدر ... وهكذا ظلوا بعد بدر يستعدون للوقعة التالية ، والله ينذرهم بالخيبة فيما يبغون ، وبالحسرة على ما ينفقون ، ويعدهم بالهزيمة في الدنيا وعذاب جهنم في الآخرة .

وليس هذا الذي حدث قبل بدر وبعدها إلا نموذجاً من الأسلوب التقليدي لأعداء هذا الدين، إنهم ينفقون أموالهم ، ويبذلون جهودهم ، ويستنفذون كيدهم في الصد عن سبيل الله ، وفي إقامة العقبات في وجه هذا الدين ، وفي حرب العصبة المسلمة في كل أرض وفي كل حين"[89].

2- **تزيين المكر** : وهذه وسيلة شيطانية ، يعتمدها شياطين الإنس والجن ليكون ذلك هو منطلق الصد عن سبيل الله ، قال تعالى على لسان فرعون : **﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾** [90] وهذه الآية تقرر أن المكر هو وسيلة لإخراج أهل المدينة منها ، ولكن هذا زعم وافتراء من فرعون على نبي الله موسى عليه السلام، قال تعالى : **﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾** [91] ونرى المكر في هذه الآية من كفار قريش لأجل أن يسجنوا النبي ﷺ أو يقتلوه أو يخرجوه من بلده مكة ، وهذا هو غاية الصد عن سبيل الله ، ولذلك رتب الله الصد على المكر في آية الرعد،قال تعالى: **﴿ .. بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ..﴾** [92] فزين الشيطان لهم المكر وزين لهم أن يُصدوا عن سبيل الله ، مما يؤكد أن المكر طريق من طرق الصد ، وأداة من أدواته ، ووسيلة فاعلة من وسائله .

3- **إيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين** : وهذه وسيلة أيضاً من وسائل الشيطان ، فهو الذي يعمد إلى إثارة الفتن والقلاقل والخلافات ، ليبني عليها العداوة والبغضاء بين عباد الله ، وبالتالي تتقطع الصلات والعلاقات الإيمانية ، ويصدهم بذلك عن ذكر الله وعن طاعته سبحانه ، قال تعالى: **﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾** [93] .

فعطف الصد على إيقاع العداوة والبغضاء من باب عطف النتيجة على السبب ، فإن تحققت العداوة والبغضاء من خلال شرب الخمر ولعب القمار ، تحقق الصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهو المراد والغاية التي يسعى إليها الشيطان مجتهداً في تحقيقها .

4- **تزيين الأعمال السيئة** : وهذه الوسيلة من مهام الشيطان ، هو الذي يصطنعها وذلك بتــزيين الأعمال السيئة لصاحبها ، فيراها حسنة فيفعلها ، قال تعالى : **﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَــرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ... ﴾** (94) وقد جاء الصد مترتباً على تزيين سوء العمل في قوله تعالى : **﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ ﴾** (95) .

يقول الزحيلي : "زيّن لفرعون الجبار سوء عمله وقبح صنعه ، من الشــرك والتكــذيب فتمادى في الغي ، واستمر في الطغيان ، أي زيّن له الشيطان عمله السيء ، فصده عــن ســبيل الهدى والرشاد ، وحجبه عن طريق الحق والعدل والسداد" (96) .

وعن بلقيس وقومها عبدة الشمس من دون الله ، قال تعالى : **﴿ ... وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴾** (97) .

والأصل في الإنسان أنه مخلوق على الفطرة السويّة التي فطر الله الناس عليها ، وهــي فطرة الإسلام ، ولو ترك الإنسان وحده لاهتدى بفطرته إلى سبيل الله ، ولكن الشيطان اعتــرض طريق بني آدم وزيَّن لهم الأعمال السيئة حتى حجبهم عن الرؤية الصحيحة ، وجعلهــم ينظــرون بمنظار معوَج وغير سوي، رأوا به الحسن سيئاً، والسيء حسناً، فانحرفت مسيرتهم عن سبيل الله، وهذا هو الصد عن سبيله كما ذكرت الآيات السابقة .

ومن الأمثلــة التطبيقيــة على الأخذ بالأعمال السيئة ، وما ترتب عليها من صد قولــه تعالــى : **﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** (98) .

فبيعهم لآيات الله بثمن قليل ، هو عمل سيء كما ذكرت فاصلة الآية ، وقد ترتب علــى ذلك الصد عن سبيله ، ولذلك جاء العطف "فصدوا" بالفاء التي تفيد العطف والترتيب والتعقيــب ، فعملهم السيء وسيلة ترتبت عليها نتيجة ، يقول ابن عاشور : لأن إيثارهم البقــاء علــى كفــرهم يتسبب عليه أن يصدوا الناس عن اتباع الإسلام ، فمثّل حالهم بحال من يصد الناس عن الســـير في طريق تبلّغ إلى المقصود ، ومفعول (صدوا) محذوف لقصــد العمــوم ، أي : صــدوا كــل قاصد(99).

والأمثلة على الأخذ بالأعمال السيئة وما يتبعها من صد عن سبيل الله متعــددة وكثيــرة نذكر منها قوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَــانِ لَيَــأْكُلُونَ أَمْــوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾** (100) .

ينهى الله المؤمنين أن يكونوا كالأحبار والرهبان في أكل أموال الناس بدون حق، ويصودن عن سبيل الله ، إذ حرم الله ذلك ، وهم يستحلونه ، فأحلوا ما حرم الله ، وهذه وسيلة من الوسائل العملية للوقوع في حبائل الشيطان ، وتكون نتيجتها الصد عن سبيل الله .

ثانياً : غاية الصد عن سبيل الله

لا شك أن الصد في حد ذاته غاية قائمة بذاتها ، ويكفي أن يكون هدفاً مستقلاً ، يسعى أعداء الله من الكافرين والمنافقين إلى تحقيقه ، ومع ذلك فإن هناك أهدافاً أخرى ، تترتب على هذا الهدف الأول وتتصل به ، وإليك بعضاً من هذه الأهداف والغايات فيما يلي :-

1- **ابتغاء سبيل الله معوجّة** : وقد جاءت الآيات صريحة في بيان هذه الغاية من الصد ، قال تعالى : **﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ...﴾**[101] .

يقول الفخر الرازي : "العِوج بكسر العين الميل عن الاستواء في كل ما لا يُرى ، وهو الدين والقول ، فأما الشيء الذي يُرى فيقال فيه : عَوج بفتح العين ، كالحائط والقناة والشجرة ... والعوج يُعنى به الزيغ والتحريف ، وتبغونها عائدة إلى السبيل ، والمعنى : أي تلمسون لسبيله الزيغ والتحريف بالشبه التي توردونها" [102] .

قال تعالى : **﴿ وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً ... ﴾** [103] وفي الأعراف نفسها قال أيضاً : **﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾** [104] .

يقول ابن كثير : "أي يصدون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه وما جاءت به الأنبياء، ويبغون أن تكون سبيل الله معوجة غير مستقيمة حتى لا يتبعها أحد" [105] .

و قال تعالى في هود : **﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾** [106] وقال في سورة إبراهيم : **﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴾** [107] . إنها غاية أكيدة لدى الكافرين أن يصدوا المؤمنين عن سبيل الله قاصدين أن تبقى سبيل الله معوجة بسبب قلة سالكيها لما فيها من شكوك وشبهات ألقاها أعداء الله الصادون .

2- **منع المؤمنين عن المسجد الحرام** : وهذا هدف واضح للمشركين ، حيث يعتقدون أنهم أهل المسجد ، وأولى به من المؤمنين ، ولذلك كانوا يصدون عن سبيل الله ، ويصدون عن المسجد

الحرام أيضاً ، قال تعالى : **﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ... ﴾** (108) .

وقد كان ذلك في صلح الحديبية لما خرج النبي ﷺ مع أصحابه من المدينة إلى مكة قاصدين العمرة ومصطحبين الهدي ، فصدهم كفار مكة عن بلوغ المسجد الحرام وصدوا الهدي أيضاً أن يذبح في مكانه قربة لله تعالى .

وقال تعالى : **﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا...﴾** (109) وهذا دليل على كفار قريش بجريمتهم النكراء ، وهو صد المؤمنين عن عبادة الله في المسجد الحرام ، ولذلك تهددهم الله بالعذاب الأليم في قوله تعالى : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾** (110) .

وهذا موقف آخر بأنهم صدوا عن المسجد الحرام ، وأرادوا فيه الظلم والمعاصي الكبار قاصدين عامدين ، فلهم على ذلك العذاب الأليم ، وقد يقول قائل : ولماذا هذا العذاب الأليم ، وهم أولياء البيت يقومون بخدمته وعمارته كما يقولون ؟ فيرد الله عليهم هذا الزعم وينفي الشبهة بقول فصل ، قال تعالى : **﴿ وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ ﴾** (111) .

فأولياء المسجد الحرام إذن هم المتقون ، محمد ﷺ وصحبه ، وليس القائمون على الشرك في عبادتهم ومعتقدهم ، فلا ولاية لهم على المسجد الحرام حتى يمنعوا أن يصله المتقون .

يقول الشوكاني : "والمعنى أي شيء لهم يمنع من تعذيبهم ؟ ... والحال أنهم يصدون الناس عن المسجد الحرام كما وقع منهم عام الحديبية من منع رسول الله ﷺ وأصحابه من البيت "وما كانوا أولياءه" وهذا كالرد لما كانوا يقولونه من أنهم ولاة البيت ، وأن أمره مفوض إليهم ، ثم قال مبيناً لمن له ذلك "إن أولياؤه إلا المتقون" أي ما أولياؤه إلا من كان في عداد المتقين للشرك والمعاصي" (112) .

3- **فتنة المؤمنين عن إيمانهم** : وهذا هدف رئيس للصد ، حيث نصت الآيات على صد من آمن عن سبيل الله ، قال تعالى : **﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ...﴾**(113) .

فالصد منصب على مَنْ آمن ، فـ "منْ" هي اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به للفعل "تصدون" والواو هي فاعل الصد عائدة على أهل الكتاب، و "عن سبيل الله"

قدمها في الذكر للاختصاص والاهتمام بها باعتباره الشيء المصدود عنه ، وبهذا المعنى أيضاً جاء قوله تعالى : **﴿ وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ...﴾**(114)

وقد زاد في هذه الآية الجار والمجرور "به" باعتبار أن الضمير عائد على الله سبحانه، أو على سبيل الله ، وعليه يكون المعنى أنهم يصدون من آمن بالله عن سبيل الله ، أو أنهم يصدون من آمن بسبيل الله عن هذا الإيمان ، وعلى كلا الاحتمالين هو فتنة للمؤمنين عن إيمانهم .

ومن ذلك قوله تعالى : **﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴾** (115) .

فالصد في الآية كان عن "الهدى" أي: الإيمان ، والمعنى أنحن صددناكم عن الإيمان بعد مجيئه إليكم ؟

ولذلك اتهم المشركون رسول الله ﷺ أنه بهذا الدين يصد الناس عن عبادة الآباء ، والمراد هو الصد عن هذا الدين والإيمان ، والثبات على ما يتوارثونه عن الآباء من معتقدات شركية وغيرها ، قال تعالى : **﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ ... ﴾** (116) فهم أرادوا أن يصرفوا بعضهم عن آيات الله البينات التي تُتلى عليهم كما صرحت الآية بذلك ، وهذه الآيات تمثل الإيمان الذي أراده الله من عباده ، وقال تعالى:**﴿ ... قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ... ﴾** (117) .

إنها حجة واهية للبقاء على الكفر دون الأخذ بالهداية التي بُعث بها الأنبياء والرسل ، فخشيتهم من الابتعاد عن عبادة الآباء تعني رفض الإيمان ، بل محاولة لتشكيك المؤمنين في إيمانهم ، ومحاولة صرفهم عن هذا الإيمان .

4- **صرف الناس عن دين الله** : وهذا هدف عام للمشركين ، وكل الآيات التي جاء فيها الصد عن سبيل الله تعني دين الله ، أو منهاج الله ، أو صراط الله ، وذلك كقوله تعالى : **﴿...وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ... ﴾** (118) .

وغيرها كثير كلها تصب في الصد عن دين الله ، وصرف الناس عنه بكل الوسائل والمحاولات ، وهناك آيات جاء النص فيها صريحاً بالصد عن شيء من هذا الدين ، وذلك مثل الصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهذا جزء من الدين ، قال تعالى : **﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ ...﴾**(119).

ومن ذلك الصد عن آيات الله ، وهي التي تبين لنا دين الله ، قال تعالى:**﴿وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ ... ﴾** (120) .

ومن ذلك الصد عن الإيمان بالساعة ، قال تعالى : **﴿ فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾** (121) .

ومن ذلك أيضاً الصد عن تحكيم شرع الله ودينه ، ليكون هو الحكم الفصل في الخصومات ، قال تعالى : **﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً ﴾** (122) .

فهذا هو حال المنافقين لا يريدون لدين الله السمو والمرجعية والسيادة والحكم الفصل ، ولذلك أكد الله وقوع فعل الصد حقيقة لا مجازاً بالمصدر فقال : "صدوداً" ، والمعنى أعرضوا إعراضاً لا رجعة فيه ، وانصرفوا انصرافاً لا عودة فيه ، وهذا نابع من عداوتهم لدين الله ، ولذلك يجعلون مهمتهم أن يصرفوا أنفسهم والناس من حولهم عن هذا الدين القويم ، فقاتلهم الله أنّى يؤفكون .

وبهذا تظهر لنا هذه الغايات الأربع للصد عن سبيل الله ، وكلها مستوحاة من آيات الله ، سواء كان ذلك بصريح العبارة ، أو بالاستنباط والفهم من النص القرآني ، والله نسأل أن نكون قد وفقنا للوقوف على مراده سبحانه من خلال آياته .

المبحث الخامس

وعيد الله للصادين عن سبيله

لا شك أن لكل عمل نتيجته ، ولكل نبتة ثمرتها ، فالفعل الطيب كالشجرة الطيبة في ثمرها ، والفعل الخبيث كالشجرة الخبيثة في ثمرها ، ومما لا ريب فيه أن الصادين عن سبيل الله قد ناصبوا الله ودينه ورسوله والمؤمنين العداء في الدنيا والآخرة ، حيث انطلقوا من أسباب كفرية مفسدة ، واتصفوا بصفات كفرية مهلكة ، وكانت لهم وسائل وغايات مجرمة ، فلا بد أن تكون عاقبة أمرهم خسراً ، وتنقلب غاياتهم غلبة عليهم وحسرة ، ويذوقوا السوء والعذاب العظيم في الدنيا والآخرة بسبب ما قدمت أيديهم من ظلم وفتنة ، وسنقف على وعيد الله بهم من خلال الآيات نفسها المتعلقة بجريمة الصد ، وذلك في النقاط الآتية :-

1- **استحقاقهم العذاب** : حيث تهددهم الله بذلك في أكثر من آية ، ووصف العذاب بأكثر من وصف ، فمرة بالأليم ، وأخرى بالعظيم ، وثالثة بالمهين ، وغيرها من العذاب المضاعف ، ومع هذه الآيات لنرى هذه الأصناف من العذاب ، قال تعالى : **﴿ وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ... ﴾** (123) وهذا تسجيل للعذاب العام عليهم ، وهو عذاب عاجل في الدنيا ، وينتظرهم العذاب الآجل يوم القيامة .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ... وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (124) ، وقوله: ﴿ ... وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (125) ، وقوله : ﴿ ... وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (126) ، وقوله : ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(127) ، وأما مضاعفة العذاب فذلك في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ (128) .

ثم بيّن تعالى أن هذا العذاب بعد حشرهم إلى جهنم ، قال سبحانه : ﴿ ... لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾(129).

وبيّن سبحانه أن الذهاب إلى جهنم ليس للنزهة وإنما للتسعير في نارها ، قال تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً ﴾ (130) ، ولا شك أن هذا العذاب المؤلم والمضاعف في نار جهنم هو سوء العاقبة الذي يناله كل مفسد صد عن سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ ... وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (131) .

والنظر المراد في الآية ليس نظر العين المبصرة ، وإنما هو تفكر العقل وتدبر القلب لأخذ العبرة والعظة ، وبالتالي البعد عن الصد بكافة أهدافه وغاياته .

2- **الإثم الكبير:** إن الصد جريمة كبيرة في دين الله ، بل هي أكبر مما يتصوره الكافرون ، قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ... ﴾ (132) .

يقول سعيد حوى : "فُهِمَ من هذه الآية حكمة فرض القتال ، وسبب وجوب قتال الكافرين، وذلك لأنهم يصدون عن سبيل الله ، ويكفرون به ، ويفتنون المسلمين عن دينهم ، ويحرصون على تكفير المسلمين واستئصال الإسلام ، فمن ثم فرض الله علينا قتالهم" (133) .

ونظراً لهذا الإثم الكبير، إن ماتوا وهم عليه، دون توبة صادقة ، وعمل صالح ، فإن الله لا يغفر لهم هذه الجريمة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (134) .

يقول الزحيلي : "إن الذين جحدوا توحيد الله ، ومنعوا الناس عن دين الله تعالى ، واتباع رسول الله ﷺ ، وماتوا وهم مصرون على الكفر ، فلا مغفرة لهم ، بل إنهم معاقبون في النار"(135).

3- **ضلال الأعمال وحبوطها** : ضلال الأعمال هو انحرافها عن صراط الله المستقيم ، وسيرها في طريق آخر لا يرضي الله ، وإنما يرضي النفس الأمارة بالسوء ، ويرضي الشيطان ، وهذا مدعاة لخسران العمل وحبوطه ، قال تعالى : **﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ﴾** (136) .

ولذلك حكم الله بضلال الأعمال على ما يفعله الصادون عن سبيله ، قال تعالى : **﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾** (137) .

يقول الزحيلي : "هم كفار قريش ، أبطل الله ثواب أعمالهم وأحبطها ، وجعلها ضائعة، ولم يجعل لها ثواباً ولا جزاءً في الآخرة ، فكل ما يسمونه مكارم الأخلاق ، كصلة الرحم ، وفك الأسارى ، وقِرى الأضياف ، وعمارة المسجد الحرام بالسقاية ، والخدمة للحجاج ، وإجارة المستجير ، لا يقبل مع الكفر والصد" (138) .

ولخطورة الصد عن سبيل الله ، لم يقتصر سبحانه على وصف أعمالهم والحكم عليها بالضلال فحسب ، بل وصف هذا الضلال أيضاً بأنه بعيد ، ولعله يريد سبحانه بأن الضلال الذي وقعوا فيه هو ضلال عميق ومعقد وهابط إلى بُعد سحيق ، إنه بعيد بكل ما يعني هذا الوصف من معنى ، قال تعالى : **﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴾** (139) .

يقول الفخر الرازي : "من صفات الكفار الصادين الضلال البعيد ، وذلك لأنهم في غاية البعد عن طريق الحق ، فإن شرط الضدين أن يكونا في غاية التباعد ، ويكون المراد من الضلال الهلاك ، والتقدير : أولئك في هلاك يطول عليهم فلا ينقطع ، وأراد بالبعيد امتداده وزوال انقطاعه" (140) .

وفي آية أخرى أكد الله الفعل "ضلوا" بالمصدر ، مما يوحي بضلالهم حقيقة لا مجازاً، ووصف المصدر بالبعد أيضاً ، قال تعالى : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً ﴾** (141) .

وفي سورة محمد صلى الله عليه وسلم حكم الله على هذه الأعمال الضالة الصادرة عن الصادين بالحبوط وهو الضياع وعدم الانتفاع بها ، قال تعالى : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴾**(142) .

وهكذا نرى كيف يكون ضلال الأعمال وحبوطها وعيداً من الله للصادين عن سبيله .

4- **إنفاق الأموال هدراً وانقلابها حسرة وغلبة** : إنه لمن دواعي الهم والغم أن ينفق الإنسان ماله لهدف من الأهداف ، ثم يكون الفشل بضياع المال دون تحقيق الغاية ، ومما يزيد الأمر مرارة أن ينقلب هذا الإنفاق حسرة عليهم ، ليس ذلك فحسب ، بل تكون الهزيمة والغلبة عليهم أيضاً ، بالإضافة إلى العذاب الأخروي ، وهو الحشر إلى جهنم ليذوقوا العذاب كما ظهر في الوعيد الأول ، قال تعالى : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾** (143) .

إنه وعيد يتلوه وعيد ، أربعة تهديدات متتالية لأولئك الذين ينفقون الأموال لأجل الصد عن سبيل الله ، إنها قضية قديمة حديثة ، فالكفار في زماننا ومَنْ والاهم ينفقون الأموال والثروات لأجل محاربة الإسلام والمسلمين ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يغلبون ، ثم إلى جهنم يحشرون ، إنهم قد طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، وإن ربك لبالمرصاد ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

5- **إحاطة علم الله بهم ونفي العلم عن أكثرهم** : إذا علم الصادون المجرمون أن الله محيط بعملهم ، ولا تخفى عليه خافية مما يفعلون من صد عن سبيله ، عندها قد يحسبون حساباً لعلم الله المحيط بهم ، فيمثل ذلك وعيداً وتهديداً لهم على فعلهم ، قال تعالى : **﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾** (144).

واليوم قد بلغ أعداء الله مبلغاً من البطر والرياء والسمعة والهيمنة على العالم بالقوة المادية العسكرية مع حرصهم على حرب الإسلام والمسلمين باسم الإرهاب ، وهذا هو غاية الصد عن سبيل الله ، وعلى ذلك فإن الله محيط بكل ما يفعلون ، ومطلع على ما يكيدون ، ومن سنته سبحانه أنه يمهل ولا يهمل ، وإنه ليملي للظالم حتى يستحق عذاباً أشد ، قال تعالى : **﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾** (145) .

ولكن كثيراً من خلق الله لا يعلمون سنة الله مع الكافرين الصادين ، ولو عرفوها ما وقعوا فيها ، وما فعلوا فعلاً يعرضهم لعذاب الله تعالى ، قال تعالى : **﴿ وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾** (146) .

ونفي العلم عنهم يعني إثبات الجهل لهم ، وهذا غاية في الذم والتهكم والنيل من كرامتهم، إذ لو كانوا يعلمون ما وقعوا في العذاب المهين بسبب صدهم عن سبيل الله .

6- **نفي ولايتهم عن المسجد الحرام** : فقد كان من معتقدات مشركي قريش أنهم أهل المسجد الحرام وأولياؤه والقائمون على خدمته ، فهم بذلك أولى الناس به ، فلما أبوا الإسلام ، وبقوا على

الشرك ، وقاموا بصد المؤمنين عن المسجد الحرام ، استحقوا عذاب الله بذلك ، وانتزاع الولاية منهم على المسجد الحرام ، ومنح الله هذه الولاية لمن يستحقونها ، وهم المؤمنون المتقون ، قال تعالى : **﴿ وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ ... ﴾** (147) .

يقول الشوكاني : "وهذا ردٌ لما كانوا يقولونه من أنهم ولاة البيت ، وأن أمره مفوض إليهم ، ثم قال مبيناً لمن له ذلك "إن أولياؤه إلا المتقون" أي ما أولياؤه إلا مَنْ كان في عداد المتقين للشرك والمعاصي" (148) .

7- **اضطراب الأقدام بعد ثبوتها** : والمراد هو اضطراب الإيمان من القلوب بعد استقراره ، فهذا من باب المجاز والكناية ، إذ ليس المراد اضطراب الأقدام ذاتها ، وإنما يكون هذا الاضطراب بسبب الأيمان الكاذبة التي يُصد بها عن سبيل الله ، ولا يكون ذلك إلا ممن يدعي الإيمان شكلاً وظاهراً لا حقيقة ، قال تعالى : **﴿ وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾** (149) .

ولذلك جاءت الفاء السببية الداخلة في جواب النهي "فتزل" وجاء بعد الفاء أن الناصبة المقدرة ، وبعد ذكره للوعيد جاءت الباء السببية أيضاً "بما صددتكم" لتبين أن ذلك الوعيد إنما هو بسبب صدكم عن سبيل الله ، فاحذروا الصد إذن .

8- **تحريم الطيبات عليهم** : والطيبات هي ما طاب طعمها ، وأحل الله أكلها ، لكن إذا ما وقع الظلم والصد عن سبيل الله يحرم الله هذه الطيبات عقوبة لهم بسبب الظلم والصد ، قال تعالى : **﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً ﴾** (150) .

يقول الزمخشري : "والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبوه ، وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة ، والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله : "وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر" وحرمت عليهم الألبان ، وكلما أذنبوا ذنباً صغيراً أو كبيراً حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها ، "وبصدهم عن سبيل الله كثيراً" ناساً كثيراً ، أو صداً كثيراً" (151) .

9- **كيد الصادين في هلاك** : وهذه حقيقة حتمية ، قررها رب العالمين بفضله ورحمته للمؤمنين ، ولولا ذلك لصرف الناس وصُدوا عن سبيل الله ، قال تعالى : **﴿ ... وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ ﴾** (152) .

ولتأكيد هذه الحقيقة جاءت أدوات الحصر "ما وإلا" بمعنى أنه لن يعدو كيد فرعون إلا أن يكون في هلاك وخسارة وضياع ، دون تحقيق الهدف والغاية التي أراد من صد المؤمنين عن إيمانهم بربهم ونبيهم موسى عليه السلام .

وبهذا نكون قد وقفنا على تسعة أصناف من الوعيد والتهديد للصادين ، وذلك في العاجلة والآجلة ، والله غالب على أمره .

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله وكرمه تتم الصالحات ، ومع مسك الختام لنقف على خلاصة الكلام في بحث بعنوان : **(الصد عن سبيل الله)** وهو مثال تطبيقي للون من ألوان التفسير الموضوعي .

ويمكن الوقوف على أهم النتائج في النقاط التالية :-

1- ظهر مدى أهمية البحث في هذا الموضوع القرآني ، باعتباره يمثل نظرية "الموضوع القرآني" يضاف لذلك أن مشكلة الصد عن سبيل الله حقيقة واقعية ، وهي ممتدة امتداد هذا الدين قديماً وحديثاً ومستقبلاً .

2- ظهر لنا المعنى اللغوي لـ "صدَّ " ومشتقاتها وذلك من خلال المعاجم اللغوية ، وقد اجتهدنا في وضع تعريف شرعي ، بعد أن أعيانا الوقوف على ذلك لدى العلماء السابقين.

3- ظهر مدى الاستعمال القرآني لـ "صدَّ " ومشتقاتها حيث وردت في أربعين آية ، وعرفنا المكي منها والمدني ، ووقفنا على السور التي ذكرتها وزمن نزولها ، وصيغة اللفظ الواردة في الآية .

4- أدركنا أن صيغة الأمر من "صد" لم ترد في كتاب الله مطلقاً ، واجتهدنا في تبرير ذلك بأن الله لا يحب السوء من القول أو الفعل، وبالتالي لا يأمر به، بل ينهى عنه ويعاقب على فعله .

5- ظهر أن الحديث عن الصد في العهدين المكي والمدني كان متقارباً مما يدل على أن العداء لم يتوقف من أول لحظة وإلى ما شاء الله تعالى ، وإن كان قد ازداد قليلاً بسبب تعدد الأعداء في المدينة ، ما بين منافق وكافرٍ وأهل كتاب وفرس وروم وغيرهم .

6- وقفنا على أسباب متنوعة دفعت الكافرين والمنافقين وغيرهم إلى الصد والتصدي للإسلام والمسلمين ، ومن هذه الأسباب : "الكفر – النفاق – تزيين الشيطان – الاستكبار والإجرام والفساد – اتباع الهوى" وكل واحد من هذه الأسباب كان يضم في جنباته فروعاً وتوابع.

7- وقفنا على صفات متعددة لأولئك الصادين عن سبيله ، حتى يتميزوا ويُعرفوا ويُحـذر كيـدهم ومكرهم ، ويُتقى شرهم ، ومن هذه الصفات : "الكفر – موقفهم السلبي من المسجد الحرام – الكسب الحرام وسوء الاستغلال – الظلم والمكر والضلال – الحلف بالأيمان الكاذبة – البطر والرياء" .

8- وقفنا على وسائل الصد عن سبيل الله ، وكان منها : "إنفاق الأموال – تزيين المكر – إيقـاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين – تزيين الأعمال السيئة" .

9- وقفنا على غاية الصد عن سبيل الله ، وكان منها : "ابتغاء سبيل الله معوجّة – منع المـؤمنين عن المسجد الحرام – فتنة المؤمنين عن إيمانهم – صرف الناس عن دين الله" .

10- وقفنا على وعيد الله للصادين عن سبيله ، وكان منها : "استحقاقهم العذاب – إثـم كبيـر لا يغفره الله – ضلال الأعمال وحبوطها – إنفاق الأموال هدراً وانقلابهـا حسـرة وغلبـة – إحاطة علم الله بهم ونفي العلم عن أكثرهم – نفي ولايتهم عن المسجد الحرام – اضطراب الأقدام بعد ثبوتها – تحريم الطيبات عليهم – كيد الصادين في هلاك" .

11- ظهرت مشكلة الصد عن سبيل الله باعتبارها حقيقة واقعة في زماننا ، تهدد كيـان أمتنـا ، وعزتنا وكرامتنا ، فلا بد من عرض هذه القضية على كتاب ربنا ، لنرى ما هو المخـرج والخلاص ، ولنسلك طريق النجاة .

12- من خلال الآيات الأربعين تكامل الموضوع بمباحثه الخمسة واكتملت صورته ممـا يؤكـد نظرية التفسير الموضوعي للموضوع القرآني ، وهذا يبرز إعجاز القـرآن فـي أسـلوبه وتركيبه ومعانيه.

ونختم بأهم التوصيات

1- ضرورة مواصلة البحث في موضوعات القرآن ، التي هي نبع فيـاض ، لا ينتهـي بخيـره وعطائه المتواصل ، بما يؤكد نظرية التفسير الموضوعي .

2- ضرورة اختيار موضوعات بحثية قرآنية ، تتناسب مع أحداث الواقع ، ومجريات العصـر ، وما يجد من أمور بين الحين والآخر ، يحتاج المسلمون أن يروها موضوعات متكاملة من وحي القرآن .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

المراجع والهوامش

(1) سورة الزخرف – الآية 57 .

(2) معجم مقاييس اللغة – لأحمد بن فارس بن زكريا – ج3 ص 282 – تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى – 1411هـ–1991م .

(3) سورة النساء – الآية 61 .

(4) سورة النمل – الآية 34 ، وسورة العنكبوت – الآية 38 .

(5) سورة النحل – الآية 88 .

(6) سورة الأنفال – الآية 47 .

(7) سورة البقرة – الآية 217 .

(8) سورة القصص – الآية 87 .

(9) المفردات في غريب القرآن – لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني – ص 275 – تحقيق محمد سيد كيلاني – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت .

(10) سورة الأنفال – الآية 47 .

(11) سورة الزخرف – الآية 57 .

(12) سورة النمل – الآية 24 .

(13)عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ "معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم" – للشيخ أحمد ابن يوسف المعروف بالسمين الحلبي – ج2 ص 372–373 (بتصرف) حققه وعلق عليه الدكتور محمد التونجي – عالم الكتب – بيروت – الطبعة الأولى – 1414هـ–1993م .

(14) سورة النمل – الآية 43 .

(15) سورة النمل الآية 43 "تكملة للآية السابقة" .

(16) لسان العرب – لابن منظور – ج3 – ص 2409 – تولى تحقيقه نخبة من العاملين بدار المعارف – منشورات دار المعارف – القاهرة – بدون طبعة ولا تاريخ .

(17) سورة النساء – الآية 61 .

(18) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز – لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي – ج3 ص 390 – تحقيق الأستاذ محمد علي النجار – المكتبة العلمية – بيروت – بدون طبعة ولا تاريخ .

(19) حيث جاءت صيغتان لصد في آية واحدة من سورة النساء رقم 61 ، انظر الجدول .

(20) سورة لقمان – الآية 17 .

(21) سورة المنافقون – الآية 2 .

(22) سورة النساء – الآية 61 .

(23) سورة الحج – الآية 46 .

(24) سورة النمل – الآية 43 .

(25) في ظلال القرآن – سيد قطب – ج5 ص 2642 – دار العلم للطباعة والنشر – جدة – الطبعة الثانية عشر – 1406هـ–1986م .

(26) سورة الأنفال – الآية 36 .
(27) سورة الفتح – الآية 25 .
(28) سورة الأعراف – الآية 45 .
(29) سورة هود – الآية 19 .
(30) سورة المنافقون – الآية 4 .
(31) سورة المنافقون – الآية 2 .
(32) سورة المجادلة – الآية 16 .
(33) سورة النساء – الآية 61 .
(34) سورة الزخرف – الآية 62 .

(35) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – الدكتور وهبة الزحيلي – ج25 ص 176 – دار الفكر المعاصر – بيروت – الطبعة الأولى – 1991م .

(36) سورة النمل – الآية 24 .
(37) سورة العنكبوت – الآية 38 .
(38) سورة الزخرف – الآيتان 36 ، 37 .
(39) سورة غافر – الآية 37 .

(40) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – ج24 ص 123 – مصدر سابق .

(41) سورة الرعد – الآية 33 .
(42) سورة المائدة – الآية 91 .
(43) سورة المنافقون – الآية 5 .

(44) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – للسيد محمود الألوسي البغدادي – ج18 ص 128 – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الرابعة – 1405هـ–1985م .

(45) سورة سبأ – الآية 32 .

(46) تفسير أبي السعود – "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" – لأبي السعود محمد بن محمد العمادي – ج7 ص 134 "بتصرف" – دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون طبعة ولا تاريخ .

(47) سورة النحل – الآية 88 .

(48) انظر : حاشية محيي الدين بن شيخ زادة على تفسير البيضاوي – ج5 ص 638 – منشورات دار الكتب العلمية – بيروت ودمشق – الطبعة الأولى 1419هـ–1999م .

(49) سورة طه – الآية 16 .
(50) سورة التوبة – الآية 9 .

(51) المقتطف من عيون التفاسير – مصطفى خيري المنصوري – ج2 ص 368 "بتصرف" دار السلام للطباعة والنشر – القاهرة – الطبعة الأولى – 1417هـ–1996م .

(52) سورة القصص – الآية 87 .

(53) تفسير المراغي – أحمد مصطفى المراغي – ج10 ص 105 – دار إحياء التراث العربي – بيروت .
(54) سورة الأنبياء – الآية 98 .
(55) انظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – الدكتور وهبة الزحيلي – ج25 ص 174 – مصدر سابق .
(56) سورة الزخرف – الآية 57 .
(57) سورة إبراهيم – الآية 3 .
(58) التفسير الكبير – للإمام فخر الدين محمد الرازي – ج19 ص 78 "بتصرف" – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثالثة – بدون تاريخ .
(59) سورة المائدة – الآية 2 .
(60) أسباب النزول – علي بن أحمد الواحدي النيسابوري – ص 108 – دار الكتب العلمية الطبعة الأولى – 1402هـ–1982م .
(61) سورة محمد – الآية 1 .
(62) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – الدكتور وهبة الزحيلي – ج26 ص 78 – مصدر سابق.
(63) سورة محمد – الآية 34 .
(64) سورة النساء – الآية 167 .
(65) سورة النحل – الآية 88 .
(66) سورة الأنفال – الآية 36 .
(67) سورة الحج – الآية 25 .
(68) سورة الرعد – الآية 31 .
(69) سورة البقرة – الآية 217 .
(70) سورة محمد – الآية 32 .
(71) سورة البقرة – الآية 217 .
(72) الأساس في التفسير – سعيد حوى – دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة الأولى 1405هـ–1985م .
(73) سورة الحج – الآية 25 .
(74) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – الدكتور وهبة الزحيلي – ج17 ص 187 ، 188 – مصدر سابق .
(75) سورة التوبة – الآية 34 .
(76) انظر : المقتطف من عيون التفاسير – مصطفى الخيري المنصوري – ج2 ص 384 مصدر سابق.
(77) سورة النساء – الآية 160 .
(78) سورة الرعد – الآية 33 .

(79) سورة إبراهيم – الآية 3 .
(80) التفسير الكبير – للإمام الفخر الرازي – ج19 ص 79 – مصدر سابق .
(81) سورة المنافقون – الآية 2 .
(82) سورة النحل – الآية 94 .
(83) في ظلال القرآن – ج4 ص 2192 – مصدر سابق .
(84) سورة الأنفال – الآية 47 .
(85) فتح القدير "الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير" – محمد بن علي الشوكاني – ج2 ص 315 – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بدون طبعة ولا تاريخ .
(86) سورة الأنفال – الآية 36 .
(87) أي جيشهم المهزوم .
(88) أسباب النزول – ص 136 – مصدر سابق .
(89) في ظلال القرآن – ج3 ص 1506 – مصدر سابق .
(90) سورة الأعراف – الآية 123 .
(91) سورة الأنفال – الآية 30 .
(92) سورة الرعد – الآية 33 .
(93) سورة المائدة – الآية 91 .
(94) سورة فاطر – الآية 8 .
(95) سورة غافر – الآية 37 .
(96) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – ج24 ص 123 – مصدر سابق .
(97) سورة النمل – الآية 24 .
(98) سورة التوبة – الآية 9 .
(99) التحرير والتنوير – للإمام محمد الطاهر بن عاشور – ج6 ص 126 – دار سحنون للنشر والتوزيع تونس – بدون طبعة ولا تاريخ .
(100) سورة التوبة – الآية 34 .
(101) سورة آل عمران – الآية 99 .
(102) التفسير الكبير – ج8 ص 157 – مصدر سابق .
(103) سورة الأعراف – الآية 86 .
(104) سورة الأعراف – الآية 45 .
(105) تفسير القرآن العظيم – للإمام ابن كثير الدمشقي – ج2 ص 346 – منشورات دار الكتب العلمية – بيروت – بدون طبعة ولا تاريخ .
(106) سورة هود – الآية 19 .
(107) سورة إبراهيم – الآية 3 .
(108) سورة الفتح – الآية 25 .
(109) سورة المائدة – الآية 2 .
(110) سورة الحج – الآية 25 .
(111) سورة الأنفال – الآية 34 .
(112) فتح القدير – ج2 ص 305 – مصدر سابق .
(113) سورة آل عمران – الآية 99 .
(114) سورة الأعراف – الآية 86 .

(115) سورة سبأ – الآية 32 .
(116) سورة سبأ – الاية 43 .
(117) سورة إبراهيم – الآية 10 .
(118) سورة البقرة – الآية 217 .
(119) سورة النحل – الآية 88 .
(120) سورة المائدة – الآية 91 .
(121) سورة القصص – الآية 87 .
(122) سورة طه – الآية 16 .
(123) سورة الأنفال – الآية 34 .
(124) سورة الحج – الآية 25 .
(125) سورة التوبة – الآية 34 .
(126) سورة النحل – الآية 94 .
(127) سورة المجادلة – الآية 16 .
(128) سورة النحل – الآية 88 .
(129) سورة الأنفال – الآية 36 .
(130) سورة النساء – الآية 55 .
(131) سورة الأعراف – الآية 86 .
(132) سورة البقرة – الآية 217 .
(133) الأساس في التفسير – سعيد حوى – ج1 ص 505 – مصدر سابق .
(134) سورة محمد – الآية 34 .
(135) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – ج26 ص 133 – مصدر سابق .
(136) سورة الكهف – الآيات 103–105 .
(137) سورة محمد – الآية 1 .
(138) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – ج26 ص 78 – مصدر سابق .
(139) سورة إبراهيم – الآية 3 .
(140) التفسير الكبير – ج19 ص 79 – بتصرف – مصدر سابق .
(141) سورة النساء – الآية 167 .
(142) سورة محمد – الآية 32 .
(143) سورة الأنفال – الآية 36 .
(144) سورة الأنفال – الآية 47 .
(145) سورة هود – الآية 102 .
(146) سورة الأنفال – الآية 34 .
(147) سورة الأنفال – الآية 34 .
(148) فتح القدير – ج2 ص 305 – مصدر سابق .
(149) سورة النحل – الآية 94 .
(150) سورة النساء – الآية 160 .
(151) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – محمود بن عمر الزمخشري – ج1 ص 581 – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – بدون طبعة ولا تاريخ .
(152) سورة غافر – الآية 37 .